غدا ألقاك

عزة سالم- مصر

اختزلت كل مشاعرها المُرهَقة فى تنهيدة طويلة حارة، وكأنها انبعاث دخانٌ لما فى جوفها يحترق ..

.....قلبها.....

ربما هى متوترة، نعم هى -كعادتها- متوترة ولكن الفارق اليوم أنها وحيدة لا تجد من تخلع أحزانها على عتبة قلبه فيحملها عنها راضيا، مَن يستطيع محو توترها - مهما كان- بنظرة من عينيه

يااااه ...تذكرت أسوأ أيام عمرها ..... حين قرر الهجرة وترك ما بينهما وراءه حتى لو كان له مبرراته إلا أن القلوب لا تفهم لغة المبررات مهما كانت مقنعة.

القلوب لا تعرف إلا اللوعة فى الحب ،اللهفة فى اللقاء،التمزق فى البعدا

حتى الفرح لا يعلَق كثيرا بالقلوب. تاهت عيناها لتتذكر يوم علمت بقراره..... أغلقت باب غرفتها عليها وكل ذرة فى جسدها المنهار المتداعى تنتفض

...تكومت فى زاوية الباب محاولةً تجميع شتاتها لتدرك ما يحدث .. .فتحت عيناها بشدة لترى ما حولها ولكنها لم ترى شئ. . لا لم تصب بالعمى ولكن ملؤ عينيها الدموع فلا مكان للرؤية . حاولت التنفس رغم صعوبته وقلبها الموجوع ،شيئا فشيئا.

قد تهدأ وهاجمتها ذكرى كل ما مر من سنوات عمرها معه. منذ التقيا لأول مرة ،نعم اقصد أحمد..... عشقته منذ نعومة أظفارها فهو ابن لصديق والدها المقرب.

تتزاور العائلات وتتمازج الأرواح بتقارب الأطفال ، كان هو دائماً من يحميها من اى طفل يزعجها فلا إراديا تنادى أحمد فيأتى فارسها شاهرا سيف الشهامة ليدافع عنها ، هو حائط صد بينها وبين إزعاجات الدنيا

طيبٌ حد الملائكة، قوى على من يضايقها كهرقل فمن يمكنه إزعاج رحمة وأحمد بجانبها .تمر الأيام مر السحاب ويكبران وهما كما هما.

.فما يدركان أن ما بينها قد شابه أى إختلاف .

فجأة..... باعدوهما ، فما عاد من المقبول أن يختلطا فهما ما عادا طفلين..

أحسا وقتها بسكين يشق صدريهما وينتزع قطعة من روحيهما ،أدركا وياليتها عاقبة الإدراك أنهما مختلفين ....بدأت عيونهما تنضح بالشكوى كلما التقت العيون..

ما هذا الرابط الذى لا يمكن معه الشعور بلذة شئ فى الحياة سوى لذة النظر لبعضهما. ما الذى نزع من الحياة كل معنى قد كان ؟؟ !

ما الذى نزع عن الروح الألوان؟ لِمَ إصطبغت بلون منزوع اللون – سيد الألوان – اتشح العمر بالأسود فلا فكاك ولا لقاء..

مرت السنوات ثقالاً والتقيا بالجامعة فهما وبرغم فارق العمر قد صارابنفس الكلية.. عادت له الولاية عليها (ولاية المحبة).

عاد الفارس ليعتلى عرشه ف يمتطى صهوة جواد النبل كما كان دائماً فحيثما وجدت رحمة إذن وبكل اليقين أن تجد أحمد. حتى إذا لم تره فتيقن أنه موجود وإن لم تلحظه. وكأن الكرة الأرضية قد فرغت من سكانها ولم يتبقى منها سوى أدم وحواء (أحمد ورحمة)

وجاءت لحظة الفراق الثانى بتخرج أحمد من كلية الصيدلة الأول على دفعته كما وعدها ،آملاً أن يصبح معيداً بالكلية فلا يفترقا

ولكن مالنا على الأقدار من ولى فقد رفضت الكلية تعيينه فلا مكان خالٍ له.

سقط الفارس منهاراً فى حضنها ، حزنت أمه لحاله وكان القضاء أقرب من أن يمسح دمعها فلاقت ربها، شعرت أنها رسالة من السماء لها لكى تقوم بدورها فى مؤازرة الفارس. وعندما توازن لم يجد مفراً سوى أن يبتعد....فكان قرار السفر....

سعى لطلب الهجرة وبعد معاناة شهور تمت الموافقة بهجرته إلى أمريكا.

وجاء الوقت الحاسم فى علاقتهم ، طلب منها مرافقته. وكان الرفض خطاً ثقيلاً فاصلاً بين القلوب فأبيها لم يخرج من الدنيا سوى برحمة وخاصة بعد وفاة زوجته منذ سنوات .وكان الصراع بين مسؤلية القلب ومسؤلية الأب.

وانتصر العقل على القلب.

وفى آخر لقاء جمعهما فوق سطح منزلها قبل السفر شاهدا شهابا أنار السماء فوق رأسيهما ، فكانت دعوتهما معا أن يكون لهما لقاء آخر .

وافترقا على أمل أن يرفع دعائهما -الشهاب - إلى أبواب السماء المفتوحة.

.ويبتعد أحمد وتتباعد الأيام ثقالا وتنقطع الرسائل معلنات الفراق المحتم

ويمر العمر ويترك بصمته على حياتها . فقد صارت بالعقد الرابع من عمرها، بالتحديد فى الرابعة والثلاثون من عمرها، آنسة وحيدة خاصة بعد أن لاقى أباها ربه بعد صراعه مع المرض اللعين .

صارت وحيدة فلا يؤنس وحدتها سوى ملجأ الأيتام الذى تديره لصديقة لها بعد عملها بالصيدليه نهارا.

فتفرغ إحساسها المفقود بالأمومة وتغمرهم بمحبتها التى ليس لها من ملجأ آخر بكل الحب ، لتعود مساء كل يوم لروتين الحياة الفارغة الممل.

وتصفح الفايسبوك الذى صارت تتململ منه ومن الرسائل السخيفة ممن يريدون التعرف دون وجه حق ، ودون إذن ودائما ما تهمل القراءة والرد على تلك الرسائل. حتى كان يوم فتحت رسائلها فوجدت رسالة فتحتها لمجرد انها لا تجد ما تفعله حتى الطعام لا تشتهيه بعد ان حضرته.

فوجدت: أخيرا وجدتك، أبحث عنكِ منذ سنوات ،فقد كان فراقنا قبل الهواتف المحمولة او الإنترنت، حتى هاتف منزلكم ماعاد كما كان، وحشتيييينى..

ارتجفت لكل حرف وكأن كهرباء السد العالى مجتمعة قد سرت فى جسدها.

لا لا يمكن أن يكون هو لا يمكن أن ينتفض الماضى وينهض من بين أنقاض السنين

ويكلمها، لم تفق من تلك الغفوة العقلية إلا على صوت هاتفها فلم ترد .

:أووووه هل مرت ساعات وانا لا أدرى؟!

وجدت نفسها تبحث عن اسم صاحب الرسالة فوجدته

.....Mr.....

وجدت نفسها ترسل رسالة تفيد الاستفهام فى كلمتان : من أنت؟؟؟

وجاءها الجواب فورا : أنا من عاهدكِ تحت السماء، ورؤيا الشهاب باللقاء

-رباااااه إنه هو هو أحمد قلبها المفقود ، وعمرها الضائع بين ثنايا الآهات المتقطعة بقلبها .

طلب رقم الموبايل ..... هاتفها.

وكانت برهة من الصمت هتكت كل أستار اللهفة ، وإختصرت كل كلمات الإشتياق فى إحساس فاض من كلمة واحدة.....

:وحشتينى ..... قالها أحمد ولم تستطع الرد .فكل مشاعر الأشواق تتوارى خلف جدار الصمت الحاد من كليهما حتى هدمه أحمد بتكرارها وحشتينى

قالت: ميرسى

قال : يااااه هل يمكن ألا يختلف الرد بمرور كل هذا الوقت؟؟؟؟ لسه نفس الرد؟؟ حتى هذا الرد ..وحشنى

قالت: عامل ايه؟

قال: مشتاق لبلدى فى عنيكى، مشتاق لوطنى فى حضنك.

أنتى مصر ومصر أنتى.

ولم يشعرا بوقت المكالمة .. فهى مهما طالت أقل كثيرا مما يجب أن تكون بعد كل هذا الفراق.

عرف منها بعض من أحوالها التى كانت محزنة قبل أن يحادثها.

وعرفت منه أنه عمل بعد هجرته بإحدى شركات الأدوية العالمية.

نبأها قلبها بوجود مشكلة لم يبح بها أحمد ..... وأغلقا على موعد

لا يهم فعندما نلتقى سنشرح كلانا للآخر الكثير.

هذا إن استطاع احدنا رفع عينه عن عين الآخر.

لكم استوحشت حياتى من دونك ، عشت جسدا بلا روح.

لم أستطع أن أمنح قلبى لسواك.

وموقنة أنك كمثلى لن تستطيع .....

أغلقنا على موعد وكلانا خائف من اللقاء بنفس درجة خوفنا سابقا من ...الفراق...